

الموضوع الرابع

مشكلات الشرق الاوسط

- مضمون الشرق الاوسط
- مشكلات الخليج العربي
- مشكلات الساحل الفينيقي
- مشكلة أفغانستان •

مشكلات الشرق الاوسط

تعد منطقة الشرق الاوسط من مناطق السخونة السياسية في العالم المعاصر حيث تصل حدة المشاكل السياسية الى ان تواجه الدول العربية بعضها البعض في ساحات القتال ، والى ان تلتقى الدول الاسلامية وجها لوجه في ميادين الدم وفي معارك الدمار العمرانى والاقتصادى . ومنطقة الشرق الاوسط هي منطقة التوسط الجغرافى في العالم القديم ، وهي المنطقة التى ارتبطت تسميتها بالاستراتيجيات العسكرية في خلال الحرب العالمية الثانية وذلك تميزا لها عن منطقة الشرق الاقصى التى كانت تشتمل على الاراضى الواقعة في جنوب شرق آسيا بما فيها ايران وتركيا ومنطقة شمال افريقية بدولها العربية المعروفة وقد توسع بعض العسكريين في تعريف المنطقة التى يحتويها مصطلح الشرق الاوسط فضموا اليها جزر بحر ايجيه وشبه جزيرة البلقان غير انه في مجال استخدامنا لهذا المصطلح سوف يقتصر تحديده على الاراضى التى تقع في حوزة الدول الاسلامية في شمال افريقية وجنوب غرب آسيا .

وتعد منطقة الشرق الاوسط شريان الحياة الرئيسى بالنسبة للعالم العربى ولذا فقد لعبت دورا بارزا في الاستراتيجية الدولية عبر السنين . فهو يتوسط جميع الخطوط البحرية والجوية الرئيسية المتجهه من الغرب الى الشرق أو من الشرق الى الغرب كما انه يحوى الموانى والمطارات اللازمة لايواء قوافل الانتقال البرية والبحرية عبر المسارات العالمية .

ويؤكد الباحثون هذه الاهمية في مجال دراستهم ويبرزوا ان هذه المنطقة التى كثر عنها الحديث على السنة الخبراء تكمن اهميتها بصورة خاصة في منطقة الخليج العربى اذ ان هذا الخليج هو قلب الشرق الاوسط جغرافيا ، وبابه السحرى ، وصندوقه الذهبى الرائع الذى يسيل له

اللعب (١) . كذلك يذكر البعض امثال ريموند أوسى Raymond O'shea ان الدولة التي تستولى على الخليج الفارسي وعلى ساحل عمان تستطيع أن تتحكم في جزيرة العرب والعراق وايران وافريقية ، وتستطيع أن تغلق قناة السويس ، وان تقطع خطوط المواصلات الجوية والبحرية الى الهند وافريقية (٢) .

ومنطقة الشرق الاوسط من المناطق التي شهدت عبر تاريخها الطويل التقاء سياسيات متضاربه ، وايدولوجيات متنوعة ، وقوى متصارعة رغبت في وقت الاوقات أن تستقطب دول هذه المنطقة أو تسيطر نفوذها على جزء منها ، ففي العصور القديمة كانت هذه المنطقة — كما هو عليه الان — مسرحا للتنافس بين القوتين الاعظم اللتان اختلفتا في مسمياتها عن القوتان الاعظم المعاصرتين حيث كانت الامبراطورية الفارسية رمزا لقوة الشرق والامبراطورية الرومانية كناية لقوة الغرب . فقد نجح الرومان في ان يجعلوا البحر بحيرة رومانية في حين أكد الفرس سيادتهم على منطقة الخليج العربي وجزءا كبيرا من منطقة الشرق الاوسط والتي تمثل في الوقت الحاضر محورا للصراع الدولي ، وحيث تتنازع عليها الايدولوجيات الاشتراكية والايديولوجيات الرأسمالية وحيث يمثل الذهب الاسود مغنطسيا يجذب اليه المستغلين من خارج منطقة الشرق الاوسط .

* * *

وتعد منطقة الخليج العربي من اقدم مناطق الشرق الاوسط التي شهدت صراعا دوليا منذ القدم اذ كانت هذه المنطقة هدفا للمطامع

(١) سيد نوفل — الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة — القاهرة — ١٩٦١ — ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

السياسية الفارسية كما هي اليوم هدفا للمطامع الايرانية فقد كانت البحرين التي عرفت قديما باسم تيلوس Tylus أو ارادوس هي أكثر مناطق الخليج العربي اهمية ، وهي المنطقة التي اطلق عليها العرب اسم « اوال » كجزء من المنطقة التي كانت تمتد من شبه جزيرة قطر الى البصرة • وقد استمرت تحمل هذا الاسم حتى العصور الوسطى • هذه المنطقة كانت أول المناطق التي نجح الفرس في اقامة قاعدة بحرية لهم بها وذلك في عام ٥٠٠ م حيث نجحوا بعد سقوط عمان واليمن في ايديهم بعد ذلك من السيطرة على الخليج وشاطئ البحر العربي لما يقرب من قرنين من الزمان •

وقد كانت هذه السيطرة هي الدافع وراء الاسكندر الاكبر لكي يتقدم نحو الشرق غازيا لبلاد فارس • وقد كان للاسكندر الاكبر فضل الكشف الاول عن شواطئ الخليج العربي ، كما أن قائدة نيارخوس تمكن في عام ٣٢٤ ق م • من ان يتقدم في رحلته البحرية من الهند الى شط العرب في رحلة استغرقت ما يقرب من اربعة شهور ونصف حيث اتجه بعدها عبر نهر قارون في بلاد فارس ليلتقى بالاسكندر الاكبر عند مدينة « سورة » • وبذلك اكتشف نيارخوس الشاطئ الفارسي للخليج العربي ، ولذا اطلاق على الخليج اسم الخليج افارسي •

وقد كان النشاط التجاري مزدهرا في منطقة الخليج في غضون القرن الثالث ق م • حيث وجدت مدينة جرها الكلدانية على ساحل الاحساء والتي وصلت نهاية لطرق القوافل التي كانت تتجه الى بلاد العرب السعيدة ، والى مدينة سلوقية على نهر دجله والى اسواق تيريديون وما جاورها عند مصب الفرات • ومنذ ذلك التاريخ تحدث المؤرخون عن السائل الاسود

الذى استخدمه البابليون فى اشغال مصابيحهم والذى لم يستغل الاستغلال الحقيقى الا فى القرن العشرين •

وفى منتصف القرن الثالث ق.م. استقلت منطقة الخليج عن فارس وتبعها بعد ذلك منطقة عمان بفضل امرء هرمز • وفى أواخر القرن الثانى الميلادى فى عام ١٩٠م • حدث حرب فى شبه الجزيرة العربية فأدت الى هجرة العرب الى منطقة الخليج ، ولكن حين قامت الامبراطورية الساسانية فى عام ٢٢٠م. مدت نفوذها الى الشاطىء الغربى للخليج حيث ابعدت حكام البحرين وأقامت ابن الملك الساسانى وليا على المنطقة بعد ان اسسوا عدة مدن بها • ولكن مالبت ان انتهز العرب الفرصة المواتية فاستقروا على سواحل الخليج واقاموا فيه منذ بداية القرن السابع الميلادى •

وفى عام ٦٥٠م قاد ملك الفرس حملة بحرية الى منطقة الخليج تمخض عنها طرد كثير من العرب من المنطقة واحلال مهاجرين من الفرس بدلا منهم • ويتبع ذلك ان دخلت كل المنطقة الساحلية العربية تحت سلطان فارس بما فيها عمان وعدن واليمن كما أخرج الاحباش المسيحيين من اليمن بعد ان استقروا فيها منذ عام ٥٢٥م • ومن ثم مكثوا النفوذ الرومانى فى المنطقة •

ولم يستمر هذا الوضع كثيرا حيث نجح المسلمون فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى من فتح بلاد ما بين النهرين والساحل الجنوبى لجزيرة العرب واجزاء أخرى فى بلاد جنوب وغرب بلاد فارس حيث خضعت جميع هذه الاراضى لسلطان الخلفاء الامويين ثم العباسيين • ولم تخضع منطقة الخليج لاي سيطرة اجنبية منذ القرن الحادى

عشر الميلادى وحتى آواخر القرن الخامس عشر الميلادى اذ مع بداية القرن السادس عشر سيطر البرتغاليون على الخليج العربى غير أن غزو البرتغاليين لهذه البلاد ظل يعانى الانتقاضات والثورات الوطنية ومن ثم اشتمت اعمال الانتقاضات على البرتغاليين مع نهاية القرن السادس عشر وساعد فى هذا الفرس الذين تعرضت مصالحهم للدمار •

وفى عام ١٦٢٢ تم جلاء البرتغاليين عن هذه المنطقة لكنها لم تلبث ان وقعت تحت سيطرة الطامعين من الهولنديين ثم البريطانيين ، كما تمكنوا من أن يتخلصوا من النفوذ الفارسى وتم لهم ذلك فى عام ١٧٨٣ على يد بنى عتيبه فى البحرين وما جاورها •

وقد استمر الاستعمار البريطانى فى توطيد تركزه فى منطقة الخليج ابان القرن التاسع عشر وذلك بعد أن قضى على منافسة فرنسا فى المنطقة • وفى بداية القرن العشرين استقر النفوذ البريطانى على بلاد الخليج وجنوبى الجزيرة ومعظم بلاد المشرق العربى غير أنه كل دول هذه المنطقة قد استقلت بعد الحرب العالمية الثانية وفى خلال النصف الثانى من القرن العشرين •

وهكذا نجد أن مشكلة تسمية الخليج العربى بالخليج الفارسى هى احدى المطامع الفارسية أو الايرانية المعاصرة فى منطقة الخليج العربى حيث تتصور ايران أن التمسك بتسمية الخليج باسم الخليج الفارسى هو كسب لحقوق لها وارضاء لاحلامها القديمة بأن يصبح الخليج بحيرة فارسية أو ايرانية وسط امبراطورية فارسية أن اطلاق اسم الخليج الفارسى على الخليج العربى مرده كما سبق الذكر الى اكتشاف الاسكندر المقدونى للمساحل الفارسى الاصغر لهذا الخليج اولا ثم معرفته للمساحل العربى الاكبر

بعد ذلك وقد كان يطلق على الخليج العربى فى العصور القديمة اسم بحر المر أو البحر الادنى مقابلا للبحر الاعلى وهو البحر المتوسط . أما البحر الاحمر فكان يطلق عليه اسم « يم مصر ايم » اى بحر مصر ثم أطلق عليه اسم البحر العربى فى العصور اليونانية والرومانية .

والواقع ان تشبث الايرانيون باستخدام مصطلح الخليج الفارسى ومحاولة عديد من الدول تأييدها فى هذا الموقف من أجل محاولة اثبات حقوق من ورائها هو المبرر الوحيد الذى يجعلنا أن نتعرض لهذه المشكلة باعتبارها فكرة قد تتطور الى قرار ثم حركة وقد يتعدى حدودها الحرب مع دولة مجاورة واحدة .

أن الاعتماد على المنطق الايرانى فى هذا الادعاء قد يدفعنا للسؤال هل يمكن ان تدعى الهند على البلاد لاسيوية والافريقية المترامية التى تطل على ساحل المحيط الهندى أو تدى مصر على جميع البلاد التى تقع على البحر الاحمر لكون ان هذا البحر قد سمي قديما باسم « بحر مصر » . ان تسمية الخليج نشأت اصلا من اكتشاف قواد الاسكندر للخليج اذ بدأ بالساحل الشرقى ، وان العرب قد اتخذوا من الخليج منذ القدم ميدانا لرحلتهم البحرية مثلما اتخذوا من الصحراء مجالا لتنقلاتهم البرية فمن الخليج خرجت السفن العربية حاملة منتجات شبه الجزيرة العربية الى بلاد الهند والصين ، هؤلاء هم الوسطاء Middlemen الذين كان لهم دورا فعالا فى نقل التجارة الى بلاد الشرق الاقصى وهؤلاء هم الذين هاجروا فى تاريخ لاحق الى الساحل الفينيقي حيث استقروا هناك . كانت السفن العربية والصينية تجوب البحر بين المشرق والخليج جيئة وذهابا ، وان استقروا العرب على الساحل الايرانى أكد للخليج صفته العربية من

الجانبيين ، وان شخصيه الخليج العربية قد دعمتها في عام ١٩٣٤م معركة السلاسل بالبصرة على الحدود العربية الفارسية التي أنتصر فيها العرب المسلمون ، وقررت نهاية سلطان الاكاسرة وبداية الحقبة الذهبية الساطعة التي لا تنسى من تاريخ الخليج العربي (١) .

وإذا كانت المطامح الايرانية في الخليج العربي قد يغلفها تسمية الخليج الفارسي فان هذه المطامح هي أحد عوامل التوتر السياسي بين دول الخليج العربي والتي قد يأتي في مقدمتها دولة البحرين ودولة الكويت ودول الامارات العربية ولاسيما في ان شريحه من قاطنى تلك الدول قد يعودوا بارومتهم الشيعية الى الجانب الشرقى من الخليج .

ويأتى في مقدمة الادعاءات الايرانية ادعائها بأن البحرين هي جزءا من الاراضى الايرانية ولعل اعلان الحكومة الايرانية في عام ١٩٥٨ بانضمام البحرين الى اراضيها باسم الاقاليم الرابع عشر من الاقاليم الفارسية لخير دليل على مقدار الشكوك التي تتواجد في سياسيات الدول الخليجية ازاء المواقف الايرانية المختلفة . وخالصة الاسانيد الايرانية ان البحرين قد خضعت لفارس قبل ظهور الاسلام . وان ايران قد استولت على هذه الجزر من البرتغاليين في خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الى ان اعترف العرب عنها في عام ١٧٨٣ ، وان احد ولادة البحرين قد اعترف بالسيادة الايرانية على البحرين في عام ١٧٦٠ ذلك بالاضافة الى أن وزير خارجية بريطانيا قد اعترف بنفس هذه السيادة وذلك بعد مضي تسع سنوات من الاعتراف الاول .

(١) المرجع السابق صفحة ١١٧ .

غير ان البحرين أعرق تاريخاً من ايران اذ تشير الادلة الاثرية الى أن بعض محلاتها العمرانية تعود الى الالف الرابعة ق.م ، كما ان النقوش السومرية تبين انها كانت مركزاً تجارياً هاماً في العصور القديمة كما انها كانت ذات نشاط ملحوظاً في العقد الفينيقى . وتشير الادلة التاريخية أيضاً أن عرب البحرين ظلوا يشنون الغارات على سواحل فارس والهند الى ما بعد الاسلام ، وان العرب قد انطلقوا من البحرين منذ النصف الاول للقرن السابع الميلادي وغزوا فارسى حيث قضوا على الامبراطورية الساسانية ودخلت فارس في المجتمع الاسلامى ومن ثم لم يكن لها وجودا سياسى مستقل الى القرن السادس عشر حيث لم تكن سوى اقليم جغرافى ومعنى ذلك اذا كانت الاثار الحضارية لدولة ما قد تكون حقوقاً لها في بلاد أخرى فان ايران مدينة للعرب اساساً باعتناقهم الدين الاسلامى كما انه لو صح منطق الادعاء الايرانى لكان لها ان تطالب بسائر بلاد الخليج الاخرى وساحل الاحساء ومسقط وعمان والعراق لانها وقعت جميعاً في وقت من الاوقات ابان حكم الاكاسرة الى النفوذ الفارسى أو الايرانى . على أى حال لا يوجد على ساحة الخليج في الوقت الحاضر بصورة علانية مثل هذا الادعاء أو غيره من الادعاءات التى قد تطالب بامتيازات اقليمية وذلك في ظل الحرب الدائرة الان بين ايران والعراق ولكن رغم ذلك فهذه الفكرة وغيرها من الافكار هى اب المشكلة بين ايران وجارتها الخليجيات كما ان اساس هذه الادعاءات لا يختلف كثيراً عن اساس الصراع بين ايران والعراق حول شط العرب حيث ان ادعاءاتها في هذه المنطقة العراقية لا تستند الى أى مبدأ قانونى او سند شرعى .

وقد ارتبطت مشكلة شط العرب بين العراق وايران بمشكلة الاكراذ

في شمال العراق تلك الجماعات التي قدمت اساسا من وسط آسيا في الالف الثانية ق.م. وكانت تتحدث اللغة الهندية اورييه واستقرت في السفوح الجبلية في كل من تركيا والعراق وايران في وطن امتد من شمال غرب الموصل في اعلى نهر دجلة الى شمال الكروكوك وديار بكر وكرمنشأة . والاكراد من الجماعات السنية المسلمة وتتخلص مشكلتهم في انهم جماعات بدوية مرتحلة تقطن مناطق الحدود بين تركيا وايران في منطقة كردستان التي قطعت اراضيها بين حدود البلدين فشطرت بين سكانها الذين تعرضوا لعاملة مختلفة من قبل الدولتين لمسيطرتين على اراضيها وقد حاولت تركيا في بعض الاحيان ولا سيما في أواخر القرن الثامن عشر أن تبيدهم الا ان الاكراد حاولوا في فترات متعددة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أن يكونوا دولة مستقلة لهم تجمع النسب المتفرق من بني جنسهم في العراق وايران وتركيا . ولكن هذه الفكرة لم تتمكن من التحقيق ولاسيما بعد الحرب العالمية الاولى وبعد نجاح ثورة كمال اتاتورك في تركيا .

وقد حاول الاكراد في شمال العراق مع بداية الثمينات أن يطالبوا بأقامة دولة مستقلة لهم في شمال العراق يكون هدفها الاكبر هو التوحيد مع اكراد ايران وتركيا وقد حاولت حكومة العراق انذاك أن تخفف من وطأة ثورتهم ولاسيما ان ايران كانت عاملا مشجعا لهم على هذه الثورة بغية اضعاف السلطة العراقية واستمرار لدور ايران في تشجيع القلاقل بالنسبة للدول الخليجية وجارتها العربيات . وحاولت العراق ان تتبع سياسة التهدئة حيال الاكراد وجعلت منهم مواطنين عراقيين شأنهم في ذلك شأن العراقيين انفسهم وكانت هذه السياسة مرتبطة بالحفاظ على الامن في مناطق انتاجها البترولية وبالرغبة في (الابقاء على التماسك

الارضى لبلاد ما بين النهرين • وهكذا تم الاتفاق بين الحكومة العراقية والاكرد في ١١ مارس عام ١٩٧٠ على ان ينال الاكرد حق الحكم الذاتى داخل اطار الجمهورية العراقية • وقد كان من نتيجة هذه السياسة التى منحت الاكرد فى شمال العراق التحكم الذاتى أن طلبت الحكومة العراقية من حكومة شاه ايران المساعدة فى تحقيق هذا الاستقرار وذلك فى مقابل الاعتراف بحق ايران فى استخدام شط العرب وحبث وقع صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية وبهلولى شاه ايران فى أواخر الثمسينات اتفقا بهذا المضمون •

ولكن مع موت شاه ايران بدأت الحكومة العراقية تنتقض مضمون هذا الاتفاق ثم تطور الامر الى اعلان الحكومة العراقية الكفاح المسلح ضد ايران حيث عبر القوات العراقية الاراضى الايرانية وتمكنت من ان تبسط نفوذها على مساحة كبيرة من الارض فى الوقت الذى كانت فيه ثورة ايران الخمينية تنادى بضرورة دحض القوات العراقية والتوصك الى احتلال الاراضى العراقية ذاتها ، غير ان العراق وجدت انه من الناحية الاستراتيجية ان يكون لها من لافضل ان تعود بقواتها الى حدود العراق الدولية حتى يمكنها ان تكون قريبه من قواعدا الاقتصادية الاستراتيجية • وقد انقسمت الدول العربية حيال هذا الصراع فقطعت سوريا علاقاتها مع العراق حيث انضمت هى وليبيا لمؤزرت ايران بينما اتجهت الاردن ودول الخليج لمساندة العراق التى ايدتها مصر هى الاخرى بصورة هى أقرب ان تكون مباشرة حيث يشترك المصريون المهاجرون الى العراق فى صفوف القتال • وقد اختلفت مواقف الدول الاوربية فى صدد هذا الصراع ولكن بصورة عامة كان هناك تؤيدا من الدول الاشترابية لايران على الرغم من ان ايران كانت تعتبر حتى اواخر الثمسينات وقبل حادثة الرهائن الامريكية

الشهيرة من أهم النقاط المتقدمة التي تستخدمها الولايات المتحدة في استراتيجيتها ضد الاتحاد السوفيتي •

عنى أى حال فقد بذلت محاولات عديدة من قبل الدول الاسلامية والدول العربية لانهاء الحرب العراقية الايرانية كما صدرت عن الامم المتحدة نداءات متعددة من اجل وضع حدا لهذه الحرب التى قاربت على العام الخامس فى استمرارها والتي تطورت لان تفوض انراق حصارا بحريا على تصريف البترول الايرانى والى ضرب الطائرات الايرانية لبعض الناقلات فى الخليج العربى • بل تطورت أيضا الى ضرب الاهداف المدنية رغم أن اتفاقا بمساندة الامم المتحدة قد تم بين ايران والعراق على عدم ضرب هذه الاهداف • وقد ادت مثل هذه المواقف الى محاولة الولايات المتحدة أن تطمئن دول الخليج والمملكة العربية السعودية بأنها على استعداد لان تمدها بالعتاد الحربى والطائرات التى يمكنها ان تحمى به مصالحها فى الخليج بل هى على استعداد لان تقوم هى بنفسها بدور هذا الحارس غير ان الدول الخليجية كان لها موقفا واضحا فى هذا الصراع وهو انها عن طريق التعاون فيما بينها لديها القدرة على الحفاظ على أمن الخليج •

هذا وتشير التقارير الاعلامية التى تصدر عن الامم المتحدة ومن الجانبين انه يوجد عدد كبير من الاسرى فى كل من البلدين وان الاسرى لا يعاملوا المعاملة التى يجب ان تلتزم بها الدول المتحاربة ، كذلك تنادى العراق بانها على استعداد لانهاء القتال بدون أى شروط وتلح فى ذلك مؤيدة بقطاع كبير من دول العالم غير أن ايران دائبة الرفض لالقاء السلاح والجلوس على موائد الاتفاق الا بشروط مسبقة يأتى فى مقدمتها سقوط النظام العراقى بعزل رئيس جمهوريتها من منصبه ثم المطالبة بعد ذلك بتعويضات حربية وحرية الملاحة فى شط العرب •

ان الحرب العراقية الايرانية هي مثل حى للصراع الايدلوجى فى منطقة الشرق الاوسط . حيث ان وعوف العديد من الدول العربية والاسلامية الى جانب العراق قد يكون الدافع اليه هو عدم الرغبة فى تصدير الافكار الخومينية الى مناطق أبعد من ايران والى الحيلولة دون اتساع نطاق الاضطرابات الفكرية فى مجال أوسع من منطقة الشرق الاوسط .

واذا كانت منطقة الخليج العربى هي احدى المناطق التى تشهد حاليا صراع قوى اسلامية متطاحنه وتحفز قوى عالميه يههما استثمار الذهب الاسود فى المنطقة فان الساحل الفينيقى يعتبر هو الاخر من المناطق التى ارتبطت باذهان الباحثين والمعلقين السياسيين واصحاب الاستراتيجيات العسكرية والسياسية بمشكلة المعاصرة المتعددة التى قد يأتى فى مقدمتها مشكلة فلسطين ثم مشكلة لبنان ومشكلة استغلال الموارد المائية فى منطقة الساحل الشرقى للبحر المتوسط .

ويعتبر الساحل الفينيقى جزءا من منطقة الهلال الخصيب التى تتركز فى شمال شبه الجزيرة العربية لتربط بين اراضى البحر المتوسط ومنطقة الخليج العربى . ويتسم الساحل الفينيقى بوجود نظامان نهريان ممثلا فى نهري العاصى والليطانى اللذان يصبان فى البحر المتوسط . ويوازي الساحل الفينيقى سلسلتان جبليتان تعرفنا باسم جبال لبنان الغربية وجبال لبنان الشرقية وحيث تحصر بينهما ودى البقاع الذى يعتبر امتدادا لانكسار البحر الاحمر الاخدودى وحيث يوجد نهر الاردن والبحر الميت والى الخلف من جبال لبنان الشرقية ترتقى المرتفعات الى الهضبة السورية وفى هذه المنطقة توجد ثلاث دول عربية الى جانب اسرائيل حيث تشترك

جميعها في ميزات موقعها ضمن أراضي الساحل الفينقي ومنطقة الهلال الخصب غير ان تختلف من حيث اصولها التاريخية والسياسية ومن ناحية تركيبها الاثنوجرافي •

أما عن ارض فلسطين التي تعتبر جغرافيا جزءا من سوريا فتكون الطرف الجنوبي الغربي من منطقة الهلال الخصب ومن ثم فهي متأثرة بمناخ حوض البحر المتوسط حيث تسقط الامطار شتاء وحيث يعم الجفاف صيفا ، بمعنى ان هذه المنطقة قد تلعب فيه مشكلة المياه دورا كبيرا في مجال الري والاستخدامات العامة •

وقد كانت فلسطين موطننا للعبرانيين الذين وفدوا الى هضبة يهوذا من شمال شبه الجزيرة العربية في منتصف الالف الثانية ق.م. حيث استقروا عدة قرون في الهضبة الداخلية لفلسطين ثم تعرضوا بعد ذلك لغزوات وهجرات متعددة ومعظمها من شرق البحر المتوسط الامر الذي ترتب عليه ان تفرقت امة العبرين السامية وذابت مع غيرها من الشعوب والامم ومن ثم فاعتناق الدين اليهودي لم يقتصر على العبرانيين الخالص اذ دخلت شعوب بأكملها مثل شعب الخزر في ظل هذا الدين في خلال القرن السابع الميلادي ورغم هذا الانتشار والتفرق لاصحاب اليهودية من غير بنى اسرائيل الا ان حنيننا جارفا كان يعاودهم بصورة مستمرة للعودة الى ارض الميعاد أو ارض فلسطين • وقد تحول هذا الحنين أو فكرة العودة الى حركة نسبت الى جبل صهيون فعرفت باسم الصهيونية في القرن التاسع عشر ، وفي خلال القرن العشرين وجدت الحركة الصهيونية من الدول الكبرى من يغذيها ويساعد على تحقيق مأربها بتسهيل عودتها الى ارض الميعاد • فقد قطعت البريطانية على نفسها امان الحرب العالمية الاولى أن تساعد الصهاينة على العودة الى فلسطين ومن ثم اصدرت في ٥ نوفمبر

عام ١٩١٧ وعد بلفور المشهور والذي يقضى بان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين • وما ان وضعت الحرب العالمية الاولى او زارها ومنحت بريطانيا حق الانتداب على اراضي شرقى الاردن وفلسطين حتى بدأت فى تحقيق ما وعدت به اليهود فى نفس الوقت الذى نادى فيه كما ورد فى وعدا بعدم المساس بالحقوق المشروعة لغير اليهود أى بأغلبية الشعب الفلسطينى •

وقد بدأ تحقيق الوعد بان سمحت الحكومة البريطانية بتكوين ما سُمى باسم الوكالة اليهودية التى انشئت من أجل الحصول على اراضى فى فلسطين واقامه مستعمرات يهودية على الارض التى يقوموا بشرائها من المواطنين • وقد كلفت بريطانيا لهذه الوكالة حرية تحقيق وظيفتها ذلك بالاضافة الى انها قد سمحت بالهجرة اليهودية الى ارض فلسطين • وقد بدأ اليهود فى تنفيذ مخططهم الاستيطانى عن طريق شراء الاراضى الاميريه التى منحها حكومة الانتداب وارضى صغار الملاك وكبار الملاك الذين يقطنوا خارج فلسطين وكانت النتيجة ان وضع اليهود ايديهم على مساحات كبيرة من ارض فلسطين تركز اغلبها فى المناطق الجيدة الانتاج كتلك التى تقع على السهل الساحلى أو فى منطقته مرج بن عامر • وقد كان من الطبيعى ان يدرك العرب الخطر اليهودى فى ارضهم ولذا فقد قامت نورات متعددة كان أهمها تلك التى قامت فى عام ١٩٣٦ وانتهى من أجلها اضطرت بريطانيا أن ترسل لجنة ميل بهدف بحث الجوانب المتعدده للمشكلة • وقد اوصت اللجنة بايقاف الهجرة اليهودية وتقسيم فلسطين بين العرب واليهود •

وقد اضطرت بريطانيا ازاء الضغط الصهيونى عليها ان تحول قضية فلسطين الى هيئة الامم المتحدة وذلك بعد الحرب العالمية الثانية حيث أقرت هذه الهيئة مبدأ تقسيم فلسطين بين الجانبين المتنازعتين • ومع

انتهاء الانتداب البريطاني أعلن تكون دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ في الاراضي الفلسطينية حيث قامت حرب فلسطين والتي انتهت بطرد ما يقرب من مليون عربي خارج ارضهم وذلك بعد ان وضع اليهود ايديهم على السهل الساحلي الفلسطيني فيما عدا غزة وسهل مرج بن عامر وارض الجليل وعكا ذلك بالاضافة الى ارض النجب • أما المملكة الاردنية الهاشمية فقد كان من نصيبها طولكرم ونابلس وجنين والحليل في حين احتفظ العرب بالقدس القديمة في مقابل دخول القدس الجديدة تحت السيطرة الاسرائيلية

ومنذ عام ١٩٤٨ وتحرص اسرائيل على فتح باب الهجرة اليهودية اليها وذلك بغية تأكيد تواجدتها في محيط عربي • ففي الفترة ما بين عامي ١٤ مايو ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ تزايد سكان اليهود الفلسطينيين من ٥٦٦ ألف الى ٦٥٠ ألف نسمة حيث مثلت الهجرة من هذه الزيادة ٧١٪ في مقابل ٢٩٪ للزيادة الطبيعية • ومع نهاية هذه الفترة وصلت نسبة السكان اليهود الى ٥٨٪ من جملة سكان يهود العالم وذلك بالمقارنة لما كانت عليه هذه النسبة في عام ١٨٨٠ و ١٩٢٥ حيث وصلت النسبة في العام الاول الى ٣٪ والى ٨٪ في العالم الثاني •

وفي اثناء الثلاثة عشر عاما من ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو تاريخ الاعتراف باسرائيل وتعداد ٢٢ مايو ١٩٦١ كان عدد سكان اليهود قد تزايد من ٦٥٠ ألف نسمة الى ١٩٣٨٠٠٠ نسمة حيث ساهمت الهجرة بحوالي ٦٩٪ من الزيادة الكلية والزيادة الطبيعية بحوالي ٣١٪ من الزيادة الكلية • وفي مارس ١٩٦٥ وصل عدد السكان اليهود الى ٢٢٥٠٠٠٠ نسمة أو ما يعادل ١٧٪ من جملة عدد سكان يهود العالم • وفي نوفمبر ١٩٦٧ وصل عدد

سكان اسرائيل الى ٢٣٧٥٠٠٠٠ نسمة^(١) بينما ارتفع الرقم في عام ١٩٧٢ الى ٣٢٠٠٠٠٠ نسمة ثم الى ٣٨٣٠٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٩ ويصل عددهم في الوقت الحاضر الى حوالي ٤ مليون نسمة .

ونظرا لان مساحة اسرائيل محدودة لذا فقد تشهد اراضيها كثافة عالية للسكان حيث تصل الكثافة العامة للسكان بها حوالي ١٢٥ نسمة في كم^٢ الامر الذي دفع بالاسرائيليين الى تبنى سياسة اقامة المستوطنات في الاراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٦٧ . ففي الحرب التي قامت بين العرب واسرائيل في عام ١٩٦٧ انتهت بالهزيمة العربية واحتلال اسرائيل لمنطقة غزة وشبه جزيرة سيناء على الجانب المصري ووضع يدها على الاراضي التي تقع الى الغرب من نهر الاردن بالاضافة الى سيادتها على القدس ، أما من ناحية الدولة السورية فاستولت على هضبة الجولان . وقد كان من نتيجة حرب اكتوبر عام ١٩٦٧ أن اتخذت الامم المتحدة ومجلس الامن قرارات متعددة من أبرزها القرار ٢٤٢ الذي ينص على مبدأ عدم اخذ الارض بقوة السلاح والاعتراف بحق الاسرائيليين في الوجود وقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية وهي ممثل الشعب الفلسطيني هذا القرار وقد أيدتها عديد من الدول العربية في هذا الصدد وكان في مقدمة هذه الدول سوريا وليبيا والاردن .

وقد قام في اكتوبر عام ١٩٧٣ 'الحرب الاسرائيلية الثالثة' والتي كان النصر فيها حليفا لاول مرة للعرب حيث نجحت القوات المصرية في عبور قناة السويس والتركز على الجانب الشرقي لقناة السويس ثم تبع ذلك قيام

(1) Raphael potai, Encyclopaedia of zionism and Israel, N.Y., 1971, pp. 905-906.

محادثات بين اسرائيل ومصر وسوريا وبحضور الولايات المتحدة وذلك لتسوية المشكلات التي تترتبت على حرب عام ١٩٦٧ ولكن لم تؤدي هذه المحادثات والتي عقدت في القاهرة الى أى نتائج بسبب الخلافات التي كانت موجودة في الجانب العربي • وقد تترتب على ذلك أن دعت الولايات المتحدة كل مصر واسرائيل لاقامة حوار مباشر بينها وتكون الولايات المتحدة شريكا في هذا الحوار حيث تمخضت المحادثات بين الدول الثلاث على اتفاقية كامب ديفد التي كان من اهم بنودها هو الانسحاب من الارض المصرية على مراحل ثلاث والوصول بالارض المصرية الى حدودها الدولية المعروفة مع تحديد حجم السلاح في شبة جزيرة سيناء ووجود مراقبين دوليين على جانبي خط الحدود • كما تضمنت اتفاقية كامب ديفيد الموافقة من حيث المبدأ على أن تعقد مفاوضات بشأن وضع الاراضى الفلسطينية الباقية وغزة والاراضى التي تقع غرب نهر الاردن على ان تشترك اطراف عربية أخرى في المفاوضات وان ما ينطبق على الاراضى الفلسطينية يمكن ان ينطبق على هضبة الجولان • وقد ورد في الاتفاقية ان أى خلاف ينشأ بين الاطراف يسوى عن طريق المفاوضات وان لم يكن ذلك ممكنا تعرض المسائل الخلافية على التحكيم •

وقد رفضت معظم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية اتفاقية كامب ديفيد حيث قطعت الدول العربية علاقاتها السياسية مع مصر بعد مؤتمر قمة طارىء عقد في مدينة بغداد كما نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة الى تونس • الا ان هذا الوضع قد تغير في الثمнинيات حيث اعادت الاردن علاقتها الدبلوماسية مع مصر كما حاولت الاردن أن تعقد اتفاقا مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى يمكن ان يكون هناك اتفاقا بينهما

من حيث وجهات النظر اذا ما قدر لباحثات ان تقوم بين الطرفين واسرائيل وصفوة المشكلة أن اسرائيل احتلت ارض فلسطين وان هناك اعداد كبيرة من اللاجئين مازالت موزعة على البلاد العربية ذلك بالاضافة الى أن مشكلة فلسطين قدامتدت في صورة احتلال لاراضي عربية مجاورة الامر الذى يحتم على اصحاب الشأن وصع تصور فعلى لكيفيه حل هذه المشكلة على اساس من الواقع الجغرافى الذى يتضمن الاعتراف بوجود المجتمع الاسرائيلى داخل المحيط العربى والتأكيد على التواجد الفلسطينى فى ارضه وعلى قداسة القدس العربية وعلى رد الارض التى استولت عليها اسرائيل عام ١٩٦٧م •

* * *

وهكذا تحتل مشكلة التواجد الفلسطينى خارج ارض فلسطين لب المشكلة الفلسطينية حيث يتفرق اللاجئين الفلسطينيون بين دول الساحل الشرقى للبحر المتوسط وفى اليمن ودول شمال افريقية ومن ابرز الدول التى تقع على الساحل الفينقى والتى تحنوى فى ارضها عناصر فلسطينية لبنان اذ ان وجود الفلسطينيين فى هذا القطر كان سببا رئيسيا فى ان احتلت اسرائيل القسم الجنوبى من لبنان لفترة تزيد على عامين ابتداء من عام ١٩٨٢، حيث دأبت اسرائيل دائما الادعاء بان انفدائيين الفلسطينيين يتخذون من لبنان قاعدة للانطلاق نحو اسرائيل •

وتتسم مشكلة لبنان كأحد المتساك، اسيسية المعاصرة فى منطقـة الشرق الاوسط بالتعقد الشديد لاسباب تتصل بالتركيب الاثنولوجى لسكان لبنان وبوضع لبنان بالنسبة للدول العربية من ناحية وبالنسبة للدولة العربية من ناحية أخرى • وفى الواقع لا يمكن ان ترجع المشكلة اللبنانية الى الاطماع الاسرائيلية فى لبنان فحسب أو الى التركيب الطائفى للبنان أو

الى أى عامل آخر ينفرد أو ينفرد بالمشكلة اذ ان المشكلة اللبنانية هى
حصيلة العوامل السابقة جميعا وانه من الصعب ان نفصل عامل عن الاخر •
ولكن من الممكن القول أن التركيب السكانى فى لبنان كان هو النواة التى
التقت حولها العوامل الاخرى لتجعل من مشكلة لبنان احدى المشاكل
السياسية الصعبة فى منطقة الشرق الاوسط • وذلك فى ضوء وجود القوات
السورية التى كانت فى لبنان بموافقتها وبتكليف من دول الجامعة العربية
وبدعم من المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص والتى اشتركت
بقواتها فى بادىء الامر مع القوات السورية وذلك لتخفيف حدة الحرب
الاهلية التى اشتعل لهيها فى وقت من الاوقات بين الطوائف الدينية المتعددة
فى لبنان • وان كانت القوات السعودية قد انسحبت من القوة العربية الا
ان القوات السورية مازالت موجودة فى لبنان ولا يقتصر تواجدها على
الحيولة للنزعات الطائفية بان تلعب دورا هاما عن طريق الحكومة السورية
فى تسير ضفة الامور السياسية اللبنانية •

وتعتبر لبنان من الاقاليم القليلة فى العام العربى المزدحمة بالسكان،
وهى بلد جبلى يمتد بحذاء البحر المتوسط بجهة بحرية طولها ما يقرب من
١٣٥ ميلا وبعرض يتراوح ما بين ٢٠ ، ٢٥ ميلا ومساحة تقدر بحوالى
٣٤٠٠ ميل ٢ • وقد تضاعفت عوامل جغرافية متعددة لتجعل من لبنان قطرا
مزهرا كثيفا بالسكان • فجبال لبنان ولا سيما الجبال الغربية من الاقاليم
الغزيرة الامطار الوفيرة المياه اذ تزيد كمية المطار الساقطة هناك عن ٢٠
بوصة سنويا ، كما ان صخورها الجيرية قادرة على الاحتفاظ بالمياه التى
تتفجر من كثير من العيون والابار ذلك بالاضافة الى أن لبنان قد قطعت
شوطا كبيرا فى تنمية مواردها الاقتصادية ولاسيما السياحة ، ومن ثم
فقد فاقت فى هذا المضمار بقية دول الشرق الاوسط ، نعلم أن ازدحام

السكان مرتبط إلى حد كبير باستثمار موارد البيئة المحلية على خير وجه • ولا يعرف عدد سكان لبنان على وجه التحديد نظرا لتجنب عمل تعداد سكاني في هذا البلد لأسباب طائفية وسياسية بسبب ان الارقام الصادرة عن الهيئات المسؤولة في لبنان كلها قائمة على التخمين وعلى دراسة العينة ولا تزيد عن كونها احصاءات ادارية • ويقدر عدد سكان لبنان بحوالي ٢٧ مليون نسمة وذلك وفقا لارقام عام ١٩٧٨ • ويتوزع السكان على خمس وحدات ادارية وهي بيروت الكبرى وجبل لبنان ، ولبنان الشمالي والبقاع ولبنان الجنوبي • ويشمل جبل لبنان اقضية بعبدا والشوف وجبيل وكسردان والمتن ، بينما يضم لبنان لشمالي كل من طرابلس وعكا وزعرتا والسكورة وبشري والبترون ، على حين يشمل البقاع اقضية زحلة وبعلبك والمهمل وجنين وراشيا • أما لبنان الجنوبي فتدخل تحت اقليته صيدا وجزين وصور ومرجعيون وبننت الجبيل وحاصبيا •

ويضم اقليم البقاع حوالي ١٢٪ من مجموع سكان لبنان على حين يتجمع في بيروت الكبرى حوالي ٤٠٪ من جملة السكان أو ما يزيد على جملة السكان الذين يقطنون جبل لبنان والبقاع ولبنان الجنوبي معا • أما لبنان الشمالي فيحتوي على ما يقرب من ٢١٪ من جملة السكان حيث يستقر ما يزيد على نصف هذا العدد في مدينة طرابلس اذ تحتوى هذه المدينة على ما يعادل من ١١٪ من جملة سكان لبنان أي ما يزيد على جملة السكان الموجودين في صور وصيدا وبعلبك •

وتعتبر الطائفية من أهم المشاكل التي تعترض سكان لبنان في حياتهم العامة والخاصة اذ تتحكم هذه الطائفة في التمثيل النيابي وفي مناطق تجمع السكان بل وايضا في شغل الوظائف العامة ، كما أنها العامل الاساسي وراء عدم اجراء تعديلات سكانية في لبنان وذلك للحفاظ على نسبة الطائفية

الموجودة حاليا والتي تعطى المسيحيين التفوق في نسبتهم على المسلمين اذ تبلغ نسبتهم تبعا للتعداد الرسمي الذي اجرى في عام ١٩٣٠ حوالي ٥٣٧٪ من مجموع سكان لبنان •

ولا تقتصر هذه الطائفية على مسلم ومسيحي يظهر تعدد المذاهب الاسلامية والمسيحية على السواء حيث نجد السنن والشيعى والدورزى كل فى منطقة من المناطق ، كما نجد الروم الارثوذكسى والروم الكاثوليك والوارنة والارمن وفئات مسيحية اخرى تتركز فى قطاعات خاصة •

وقد اقتضى الاتفاق بين الطوائف اللبنانية المختلفة أن يتولى رئيس الجمهورية مسيحيا مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سننيا ورئيس مجلس النواب شيعيا • أما الوزراء وكذلك اعضاء مجلس البرلمان والوظائف العامة فتوزع بنسب الطوائف المختلفة •

ويمثل المرونة حوالى ٣٠٪ من جملة السكان واهم مواطنهم فى زعرتا وكسروان وجبيل وذلك الى جانب المتن والشوف وبيروت حيث تقطن الدرور فى صورة تجمعات كبيرة المناطق الاخيرة • أما الروم الارثوذكسى والكاثوليك وكذلك الارمن الذين يمثلوا ما يقرب من ٢٢٥٪ من مجموع السكان فيعيش اغلبهم فى بيروت وفى الكورة بلبنان الشمالى على حين يتركز اغلب المسلمين فى صور وصيدا وطرابلس وقرى سهل عكار وفى بيروت واغلب هؤلاء من اهل السنة لان معظم الشيعة يقطنون فى النبطية باقليم صور ، وكذلك فى البقاع الشمالى وفى كسروان • أما الدرور فيتكسون على وجه الخصوص فى الشوف والمتن بوسط جبل لبنان •

هذه هى الصورة العامة للتركيب السكانى والطائفى فى لبنان والتي اتخذت منها التيارات السياسية المختلفة الداخلية والخارجية اطارا لتجعل

منها احدى المناطق المتوترة في الشرق الاوسط فنجد القوى الغربية ممثلة في الولايات المتحدة وفرنسا دائمة التأييد للطوائف المسيحية بل ان اللبنانيين المسيحيون ينظروا الى فرنسا على انها هي الحامي لهم في الوسط الاسلامى بينما تؤيد الدول العربية الحفاظ على الارض اللبنانية وتقف حائلا ضد أى محاولة لشطر لبنان الى أكثر من موطن واحد ، كما أن الاتحاد السوفيتى من وراء مساندة لسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية قد يجد له مكانا على خريطة لبنان التى تشهد فى نفس الوقت تهديدا مباشرا من اسرائيل وذلك بحجه القوات السورية والانطلاق الفدائى من ارضها •

أن مشكلة لبنان مشكلة تكمن بذورها اولا فى الوضع الداخلى للبنان وثانيا فى التدخل الاجنبى فى شئونها ومن ثم فحل هذه المشكلة يرتبط اساسا باذابة الطائفية والفرقة على ارض لبنان وذلك بعد ان ترفع الدول الدخلية ايديها عنها •

أما عن مشكلة استغلال موارد المياه فى الساحل الفينيقي كجزء من المشكلة الفلسطينية والمشكلة اللبنانية فتبرز اهميتها فى الانهار التى تجرى من الاراضى اللبنانية والاسرائيلية والاردنية حيث تحاول كل دولة ان يكون لها نصيبا من موارد مياه النهر تكفل لها خطط التنمية والتوسع العمرانى وتحقق لها مزيدا من الازدهار الاقتصادى •

فتعتبر مياه حوض نهر الليطانى من أهم الموارد المائية فى لبنان اذ تقدر كمية المياه فى حوض النهر نحو ٧٠٠ مليون متر مكعب • وينبع هذا النهر من هضبة بعلبك ليسير فى مجرى نهري طولى من الشمال الى الجنوب ليغير اتجاهه عند بلده الطيبة فيتجه من الشرق الى الغرب ليصب بعد ذلك

في البحر المتوسط شمال مدينة صور عند بلده القاسمية • ويبلغ طول نهر الليطاني حوالي ١٧٠ كم ومساحة حوضه حوالي ٢٦٨ كم^٢ • ٢٠ •

ويعد مشروع نهر الليطاني من المشروعات التي تجذب اطماع اسرائيل الى الموارد المائية في لبنان • ففي عام ١٩٥١ تم بموجب اتفاقية المساعدات الفنية بين لبنان والولايات المتحدة الامريكية دراسة استثمار نهر الليطاني حيث بدأت الخطوات التمهيدية للمشروع منذ عام ١٩٥٤ • ويتلخص المشروع في اقامة سد عند بلده الفرعون يبلغ طوله كيلو متر واحد وارتفاعه ٦٦٥ مترا وذلك من اجل تخزين كمبة من المياه يصل حجمها الى ٢٢٠ مليون م^٣ على ان تصرف هذه المياه عن طريق انشاء نفق تحت جسم السد ينتهي عند شرق عين الطينة وحيث تتجمع هناك كل من مياه الزرقاء ومياه النفق لتسير سويا بعد ذلك في نفق أكبر يمتد اسفل جبل نيفا الى ان يتصل بالقسم الاعلى والاوسط من نهر الاولي عن طريق مجرى نهر بيسرى • وعند هذا الموضع ينشطر مجرى الماء الى قسمين احدهما يجري في انبوب مضغوط عبر نفق جون لتستعمل في توليد الطاقة والاخر تسيل مياهه في قنوات لدى اراضي منطقة النبطية العليا •

ويخدم مشروع الليطاني اراضي البقاع الجنوبي عن طريق تجميع مياه الينابيع التي توجد تحت اقدام السفوح الجبلية قرب عنجر حيث توزعها بصورة أكثر فاعلية على اراضي المنطقة وتبلغ مساحة الاراضي المستفيدة من هذا المشروع في منطقة البقاع بين بلده الفرعون وريان نحو ٢٦ ألف هكتار في الوقت الذي نجد فيه ان ما يقرب من ٣ره جملة مساحة هذه الاراضي نادرا ما تجد المياه الكافية اللازمة للزراعة السنوية •

وتتلخص اطماع اسرائيل في نهر الليطاني في الاستفادة من مياهه وذلك بتحويل نحو ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياهه الى أعالي حوض نهر

الأردن • وتدعى إسرائيل أنها في حاجة أشد من لبنان لمياه نهر الليطاني وأنها على استعداد لدفع تعويضات مالية أو تزويد لبنان بالطاقة الكهربائية المولدة من مياة نهر الليطاني اذا ما وقعت لبنان على تحويل جزء من مياه هذا النهر الى حوض الاردن غير ان لبنان دأب الرفض لهذا المطلب (١) •

أما عن الموارد المائي الثاني الذي يمثل نقطة للصراع بين العرب واسرائيل في منطقة الشرق الاوسط هو نهر الاردن الذي يعتبر الشريان الرئيسي لكل من الاردن وسوريا واسرائيل • ويمثل نهر الاردن جزءا من الاخدود الاثريقى العظيم حيث تأتي مياه منابعه عن طريق ثلاثة روافد وهي البانياس والدان والحصباني حيث ينبع الرافد الاول بالقرب من بلدة يانياس السورية والثاني من منبع الدان عند اقدم جبل الشيخ والثالث من السفوح الشمالية القريبة لجبل الشيخ حيث يدخل فلسطين قرب نقطة التقاء الحدود السورية الاسرائيلية اللبنانية • وبتجميع الروافد الثلاثة في منطقة بحيرة الحولة التي يرتفع مستواها ٧٠ مترا فوق سطح البحر والتي قام اليهود بتجفيفها • وينتج النهر بعد ذلك في مجراه الاوسط الى بحيرة طبريه وما حولها حيث تغطي بحيرة طبرية وحدها نحو ١٦٥ كيلو مترا مربعا والى الجنوب من بحيرة طبرية يجري نهر الاردن في مجرى عميق محفور في الروسوبيات ليصب في البحر الميت • وبعد أن يخرج النهر من بحيرة طبريه ببضعة كيلو مترات يتصل به من الشرق اهم روافده وهو نهر اليرموك الذي ينبع من هضبة حوران • ويتصل بالنهر بعد ذلك بعض النهرات الصغيرة اذ ان الراقد الثاني الرئيسي هو نهر الزرمة الذي يتصل بنهر الاردن في ثلثه الاخير •

(١) حسن ابو العنين — دراسات في جغرافية لبنان —

ونظرا لان حوض نهر الاردن من المناطق المزدحمة بالسكان فقد اتجهت السياسيات الاقتصادية الى استغلال مياه هذا النهر استغلالا على نطاق واسع ولاسيما في ميدان التوسع الزراعى غير أن التقسيم السياسى لحوض هذا النهر بين الاردن ولبنان واسرائيل وسوريا يعد من اهم المشاكل التى تقف امام استغلال مياه الاردن •

ويتمثل الاختلاف حول استغلال مياه نهر الاردن فى ثلاثة مشروعات قدمت لاستغلاله احدهما من جانب الولايات المتحدة والاخرى من قبل العرب والثالث من الجانب اليهودى ويتمثل المشروع الامريكى فى تحويل مياه نهر اليرموك الى بحيرة طبريه ذلك بالاضافة الى استغلال مياه الوديان التى تنساب نحو نهر الاردن والقادمة من هضبة فلسطين وذلك عن طريق إقامة السدود التى تتحكم فى مياه هذه الوديه عند سقوطها • ويقدر اقصى ما يمكن استغلاله سنويا من مياه فيضان هذه الوديه حوالى ٧٤ مليون متر مكعب •

أما المشروع العربى فينادى باستغلال مياه نهر اليرموك عن طريق تخزين المياه فى مجرى النهر ذاته وذلك من أجل استغلال مياهه لصالح الاردن وسوريا • ويرى هذا المشروع ان يقام سد عند وادى خالد بحوض اليرموك تكون سعة التخزين الكلية أمام هذا السد حوالى ٤٠٠ مليون متر مكعب تستفيد سوريا منه بحوالى ٩٠ مليون متر مكعب لدى اراضيها • أما الباقي فتستفيد منه الاراضى الاردنية وذلك بعد اقامة ترعة خاصة لاغراض الري فى الغور الشرقى • ومعنى ذلك ان المشروع العربى قد عالج احد الانتقادات الهامة التى وجهت الى المشروع الامريكى بشأن استغلال مياه نهر الاردن الا وهو ان معظم المياه التى قدرها المشروع الامريكى لكى تستفيد منها الاردن ستخزن فى بحيرة طبرية ، وهى بحيرة

تقع في اسرائيل الامر الذي سوف يجعل الاردن من ناحية تحت السيطرة الاسرائيلية ومن ناحية اخرى فلن تستفيد سوريا من مياه نهر اليرموك الذي يتدفق من اراضيها الا بنحو نصف كمية المياه المقدر لها الاستفادة منها من المشروع العربي . وبالإضافة الى ذلك فإنه يعترض على تخزين مياه نهر اليرموك في بحيره طبرية بسبب ان متوسط الملوحة في مياه نهر اليرموك قد تصل الى ٨٨ جزء في المليون وفي البحر الميت الى ٣٠٠ جزء في المليون الامر الذي سينتج عنه ارتفاع نسبة الملوحة في مياه نهر اليرموك وزيادة نسبة الفاقد عن طريق البحر في حالة التخزين في البحيرة (٣٠٠ مليون متر مكعب سنويا) وذلك بالمقارنة بالفاقد في حالة التخزين بالنهر ذاته (١٥ مليون متر مكعب سنويا) . ويتضمن المشروع العربي كذلك انشاء سد تخزين على نهر الحصباني لتأخذ من امامه ترعة لرى الاراضى اللبنانية التى تحتاج للماء يقرب من ٣٥ مليون من الامتار المكعبة سنويا ذلك بالإضافة الى حفر ترعة تستمد مياهها من نهر بانياس لدى الاراضى السورية والتي تقع في وادى نهر بانياس والتي تحتاج سنويا لحوالى ١٢ مليون من الامتار المكعبة .

ويجدر ذكر أن لبنان في ضوء المشروع الامريكى لا تستفيد شيئاً رغم ان المشروع تضمن انشاء سد على هذا النهر في الاراضى اللبنانية (١) .

ويتضمن المشروع العربي ايضاً توفير كمية من المياه تقدر ٩٦ مليوناً من الامتار المكعبة سنويا لدى اراضى اسرائيل بمنطقة الحوله ذلك بالإضافة

(١) محمد ابراهيم حسن — دراسات في جغرافية ليبيا والوطن

الى استغلال مياه نهر الاردن وروافده لاغراض الري فى المنطقة التى تقع الى جنوب بحيرة طبريه حيث تحتاج الاردن لما يقرب من ٤٣٠ مليون متر مكعب لدى اراضى العورين الشرقى والغربى فى مقابل ٨٤ مليون متر مكعب وهى حاجة اسرائيل لدى اراضى نابع لها فى الغور الغربى وفى مثلث اليرموك •

أما عن المشروع اليهودى فتتلخص اهم مقترحاته فى تخزين ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطانى فى بحيرتين تقاما عند مرج عيون حيث تخرج منهما قناة تحمل المياه الى الاراضى الاسرائيلية ، كذلك يتضمن المشروع اقامة خزان كبير للمياه فى سهل الطوف شمالى الناصرة يمون عن طريق القناة التى تخرج من البحيرات السابقة وعن طريق قناة اخرى تأتى من بحيرة طبرية • وتبلغ كمية المياه التى تحصل عليها اسرائيل وفقا لمشروعها ما يقرب من ٦٢٠ مليون متر مكعب •

وهكذا تبرز رغبة اسرائيل فى الحصول على أكبر قدر ممكن من المياه عن طريق تحويل مجرى الاردن وذلك حتى يمكنها أستيعاب الاعداد المتزايدة من السكان الوافدة اليها عن طريق الهجرة •



وإذا كانت منطقة الساحل الفينيقى تشبه منطقة الخليج من حيث حياسية الصراعات السياسية التى تتواجد عليها بسبب اشتراك أكثر من قوة دولية وراء هذه الصراعات فان هناك منطقة أخرى على الحدود الشمالية من ايران تتسم بوجود استقطاب شيوعى لدولة اسلامية أجبرت على أن تخضع لنفوذ الاتحاد السوفيتى وتتمثل هذه المنطقة فى أفغانستان • وتعتبر أفغانستان جزءا من منطقة الشرق الاوسط على الرغم من انها تقع فى وسط

آسيا اذ تشغل افغانستان منطقة جبلية معقدة تضاريسيا حيث تحتل القسم الشمالى الشرقى من هضبة ايران اى انها تقع فى منطقة عقده البمير حيث تلتقى سلاسل جبال هندوكوش بجبال هيمالايا ويصل ارتفاع هذه السلاسل الجبلية الى مايزيد على ٧٠٠٠ متر غير ان هذا الارتفاع يختلف بالنسبة للاجزاء الغربية حيث يتراوح الارتفاع ما بين ٤٥٠٠ مترا و٦٠٠٠ مترا فى الجبال التى يطلق عليها اسم جبال ابافسوس . وتشغل هذه الجبال مساحة اكبر من تلك التى تشغلها السلاسل الجبلية الشرقية . والى جانب السلاسل الجبلية الرئيسية التى توجد فى الاجزاء الشمالية الشرقية والاجزاء الغربية فهناك سلاسل جبلية فرعية أخرى تمتد عبر البلاد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ومن الشرق الى الغرب . ونظرا لان مجموعة الجبال الافغانستانية تنتمى كلها الى الجبال الالتوائية الحديثة التكوين لذا فجملة الاراضى الافغانية بعيدة عن الاستقرار الجغرافى اذ أنها تتعرض للهزات الارضية ، كما انها عرضة لثورات لبراكين التى يرتبط بوجودها ايضا بمناطق الضعف الارضى من صدوع وانكسارات .

ويكون المسرح الجغرافى لافغانستان اساسا لكفاح الشعب الافغانى ضد الاتحاد السوفيتى ومن ثم فالتعدد التضاريسى وتعدد النظام النهري بها من الامور التى يجب الاشارة اليها فى دراسة الوضع السياسى بها اذ أن الاودية الافغانية فى الجزء الجنوبى تنحدر مع انحدار السطح العام لافغانستان نحو منخفض شجستان بينما التصريف النهري المتجه صوب وادى جيحون ينحدر بشدة وفقا لمظاهر السطح فى شمال هندوكوش ونظام الصرف فى افغانستان يضم ثلاثة انظمة نهريّة وهى مجموعة جيحون والسند وهالند . ويمثل نهر جيحون وروانده المجموعة الجنوبية من النظام النهري وذلك بالاضافة الى نهري مرغاب وهري ذود . وأما مجموعة نهر

السند فتضم نهر كابل وروافده في حين تشمل مجموعة هالند النهر المعروف بهذا الاسم وروافده والذي يصب في مندفص سجستان وتعتبر هذه الاودية منافذ أفغانستان الطبيعية واهم طرق اختراقها •

وإذا كان سطح افغانستان يمثل مسرحا لعمليات الكفاح الافغانستاني فان مشكلة احتلال أفغانستان من قبل الاتحاد السوفيتي ارتبطت بالنظام الاجتماعي والسياسي بافغانستان • فكلمة افغانستان اشتق اسمها من سم القبائل الافغانية التي كانت تعيش فيما مضى في هذا الجزء • وقد ارتبط هذا الاسم بافغانستان منذ قرين من الزمان فحسب ان الاسم الذي به افغانستان في العصور القديمة هو « اربانا » في حين اطلق عليها في العصور الوسطى اسم بلاد خراسان وذلك انتسابا لاقليم خراسان في الجزء الشمالي فيها •

ويبلغ عدد سكان افغانستان نحو ٢٠ مليون نسمة واهم العناصر الجنسية التي تدخل في تركيب السكان هم الافغان الحقيقيون الذين يكونوا خليطا بين العناصر الايرانية والتركية والذين يطلق عليهم محليا اسم البوختان أو البونان كما يعرفوا في باكستان ويكون البوختان ما يقرب من نصف عدد السكان في افغانستان ومن ثم فليس لهم مناطق تركز معينة ولا سيما وان نسبة منهم تحترف الرعي الى جانب الزراعة ، ولكن يتواجدون بصفة عامة في منطقة جبال هندوكوش • والى جانب البوختان يكون الاوزيك والهازار او الطاجك عناصر رئيسية للسكان • فالجماعة الاولى تكون ما يقرب من ٢٠٪ من مجموع السكان بينما تكون الجماعة الثانية حوالي ٣٪ من مجموع السكان • أما الطاجك فيشكلوا ربع مجموع السكان • وهناك فروق مذهبية بين العناصر الثلاثة فبينما تدين المجموعات الطاجكية

والاوزبكية بالماذهب السننى يعتنق الهازارا المذهب الشىعى • وبالإضافة الى الاختلاف المذهبى فتوجد اختلافات أخرى بين الافغان فعلى حين يعمل الطاجك بالحرف المدنية الى جانب الزراعة اذ ان قليل منهم يقطن الاجزاء الجبلية نجد ن جماعات الهازارا التى تتركز فى المناطق الجبلية فى وسط وجنوب أفغانستان تحترف الرعى الى جانب الزراعة •

سمة اخرى تظهر اختلاف بين البوختان والطاجك اذ تتحدث الجماعات الاخيرة اللغة الفارسية بينما تتحدث الجماعات الاولى لغة البشتو • وتعتبر لغة البشتو التى تنتمى الى مجموعة اللغات الايرانية هى اللغة الرسمية للبلاد على الرغم من ان جماعات الطاجك تتحدث لغتها الخاصة الى جانب اللهجات الاخرى التى تنطق بها العناصر المحلية فى البلاد مثل اللغة التركية التى يتحدث بها جماعات الاوزبك والقرغيز واللغة العربية التى بدأت تجد طريقها الى افغانستان فى ذلال القرن العشرين •

وبصفة عامة نجد ان العناصر التركية والمغولية التركية تسود فى المناطق الشمالية وان كانت جماعات الهازارا تنتمى الى اصول مغولية • أما عناصر الكافير الذين عرفوا منذ نهاية القرن ١٩ بعد اعتناقهم الاسلام باسم التوريين فيوجدوا فى اقليم كافرستان على حين يوجد فى بلوخستان عناصر البلوخين •

ولقد لعب المسرح الجغرافى دورا هاما فى توزيع السكان وتوجيههم الاقتصادى فجعلهم ينتاثرون فى قرى بعيدة بين السفوح والادوية الجبلية وعلى حواف الصحراء حيث يمارسون حرفة الزراعة الى جانب حرفة الرعى فأغلبية سكان افغانستان قرويون اذ لا تضم مدن افغانستان سوى ما يقرب من ٢٠ ٪ من مجموع السكان ؛ ومعنى ذلك ان الزراعة والرعى يمثلان دعامة اقتصاد افغانستان •

وتبلغ مساحة افغانستان ما يقرب من ٦٤٧ر٥ ألف كم^٢ وهي تقع في موقع بعيدا عن المنافذ المائية التي جعلت منها دولة حبيسة ، وتقع على الحدود الشمالية من افغانستان الاتحاد السوفيتي بينما تشترك في الحدود الشمالية الشرقية مع الصين وكشمير في حين تتاخم حدودها الغربية الاراضى الايرانية •

أما عن اساس المشكلة الافغانية فيعود الى عام ١٩٧٣ حيث قامت في ١٧ يوليو من نفس العام ثورة شعبية كان من نتائجها اسقاط النظام الملكى تحت عرش زهير شاء حيث قاد الانقلاب ابن عم الملك وصهره محمد داود الذى اعلن الجمهورية • وقد قتل الملك في عام ١٩٧٣ كما قتل محمد داود في انقلاب عسكري حتى في ابريل عام ١٩٧٨ حيث ادى هذا الانقلاب الى تكوين حكومة موالية الى الاتحاد السوفيتي بزعامه حزب الشعب الديمقراطى الافغانى وقد طلبت هذه الحكومة المعونة من السوفيت عن طريق التدخل العسكرى حيث رحب السوفيت بهذا التدخل في وقت قل فيه النفوذ الامريكى في ايران ولا سيما بعد قيام الثورة الخمينية ورغبة منهم في كسر سياسيه الولايات المتحدة في محاولة تطويقهم بدول حليفة لها ذلك بالاضافة الى رغبة الاتحاد السوفيتي في ان يكون قريبا من المياه الدفيئة في منطقة الخليج •

وقد قام الشعب بالكفاح ضد الاحتلال السوفيتي الذى يجد توييدا من الحكومة والذى يحاول ابعاد أى رئيس جمهورية ينظر بعين الرضى لخروج السوفيت من افغانستان •